تفسير
سورة المُلْك
الجزء الثالث

الشيخ / هاني حلمي



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمد لله وكفى, وصلى الله وسلم وبارك على النبى المصطفى وآله المستكملين الشرف.

ثم أمابعد،،

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علمًا ينفعنا وأن يجعل مانقول وما تسمعون حجة لنا لاعلينا.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على حلمك بعد علمك

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك على عفوك بعد قدرتك

هذا هو الدرس الثالث في تدبر سورة الملك

السورة المنجية من عذاب الله. السورة الشافية للعبد المؤمن الذي يحافظ على تلاوتها. السورة التي كان النبيﷺيقرؤها في كل ليله.

هذه السورة المباركة التي ابتدئت بقوله تبارك وتعالى { تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ } تأملنا الآيات الخمسة عشر الأولى منها واستخرجنا منها عدة معاني إيمانية مهمة وتوقفنا عند قول الله تبارك وتعالى { أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(16) أَمْ أَمِنتُم مَّن

فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ(17) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ(18) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (19) } [الملك:16-19]

{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ } هذا إنتقال من الإستدلال إلى التخويف. لأنه لما تقرر أنه سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأرض وذللها للناس وتقرر أنهم مارعوا خالقها حق رعايته فلذلك استحقوا الغضب وتسلط العقاب بأن يصيّر مشيهم في مناكب الأرض إلى أن يتجلجلوا في طبقات الأرض.

ومعنى الآيه: هل أمنتم يامعشر الكفار ربكم العلي الكبير أن يخسف بكم الأرض فيُغيّبكم في مجاهلها.

{ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء } ولاشك أن هذه الآيه قد يتوهم البعض من ظاهرها أن الله تعالى داخل السماء وأن السماء تحيط به. ومنشأ الوهم الظن أن {فِي} هنا بمعنى الإستغراق- أي داخل الشيء - ولكن أهل العلم وأهل التفسير من أهل السنة ذكروا أن "في" هنا بمعنى "على".

وقد قال ربنا تبارك وتعالى على لسان فرعون { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } [طه:71] ولا يدخلون داخل جذوع النخل وإنما على جذوع النخل. والقرآن يستخدم "في" بمعنى "على" أصالة وليست على سبيل الكنايه، وليس على سبيل المجاز. إذ أن المعتَمد والصحيح عندنا أن المجاز متعذّر في القرآن كما أثبت ذلك العلامة ابن القيم في كتابه "الصواعق المرسله" حينما جعل المجاز والطاغوت الخامس كما بيّن. وكما ذكر ذلك العلامه محمد أمين الشنقيطي في رسالته "منع جواز المجاز" والمسألة مسألة علمية، المهم فيها الآن أن "في" تكون بمعنى "على" وهذا له أمثلة في القرآن.

ولاشك أن هذا الأمر يحتاج منا إلى إضاءة. فإن إثبات علو الله تبارك وتعالى ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يقولون علو قدر (أي علو مكانة).

القسم الثاني: يقولون علو شرف.

وهذان القسمان لم يخالف فيهما أحد ممن ينتسب إلى الإسلام.

لكن هناك قسم ثالث، مذهب أهل السنة والسلف أن الله تبارك وتعالى عالٍ بذاته فوق جميع خلقه، بائنٌ من خلقه، مستوٍ على عرشه، وعندنا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على ذلك. وقد صنف الإمام ابن القيم رسالة ماتعة في ذلك "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" وساق فيها أدلة عظيمة الشأن. وكذلك صنف الإمام الذهبي كتابه "العلو". واختصره العلامه الشيخ الألباني في "مختصر العلو" ومن ذلك أن الله تعالى صرّح بهذه الفوقية فى قوله {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل : 50] وقوله { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }[الأنعام:18].

ومن الأدلة أيضًا ثانيًا: أن الله صرح بالعروج إليه وهذا يتحقق بأن لله تبارك وتعالى علوًا يليق به سبحانه وتعالى ولا نقول "جهة". لأن هذا اللفظ لم يرد في القرآن ولا في السنة. إنما نقول كما قال ربنا {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5] أي علا.

وصرح سبحانه وتعالى بالعروج إليه في قوله {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج:4]

والأمر الثالث: التصريح بالصعود إليه { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } [فاطر:10]

والأمر الرابع: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه. قوله تعالى في شأن المسيح {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء:158] وقال سبحانه وتعالى { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [آل عمران:55]

الأمر الخامس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو، فقد سمى الله تبارك وتعالى نفسه عليًا، سمى نفسه الأعلى { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } [الأعلى:1] قال سبحانه {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:255] وقال سبحانه {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ:23].

الأمر السادس: التصريح بتنزيل الكتاب كما قال سبحانه وتعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الأحقاف:2] وقال { تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [فصلت:2] وقال {تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:42] وقال {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ}[الدخان:3] . وقال { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ } [النحل:102] فالتصريح بتنزيل الكتاب دليل على علوه سبحانه وتعالى.

الأمر السابع: التصريح باختصاص بعض المخلوقات أنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ } [الأنبياء:19] وكقوله {إِنّ الّذِينَ عِندَ رَبّكَ} [الأعراف:206]

الأمر الثامن: التصريح بأن الله تبارك وتعالى في السماء كما في هذه الآية التي نتدارسها {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}

وكقول النبي ﷺ "...ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء..."
الراوي:عبدالله بن عمرو بن العاص المحدث:الألباني - المصدر:صحيح الترمذي- الصفحة أو الرقم:1924 خلاصة حكم المحدث:صحيح

والأمر التاسع: التصريح بالإستواء على العرش كما تقدم في قول الله تبارك وتعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[طه:5].

الأمر العاشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تبارك وتعالى كما قال النبي ﷺ " إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا".
الراوي: المحدث:الألباني - المصدر:شرح الطحاوية- الصفحة أو الرقم:286خلاصة حكم المحدث:صحيح

أما الذين يقولون أن العلو هو قِبلة الدعاء فقط فهذا باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع. والعقل يُثبت أن العلو صفة كمال وأن السفول صفة نقص. فوجب أن يكون الله

تبارك وتعالى المنزه عن النقص يجب أن ننزهه عن صفة السفول وأن نثبت له صفة العلو التي هي صفة الكمال.

والفطرة السليمة والطباع القويمة تثبت ذلك. فإن الناس يتوجهون إلى ربهم ويرفعون أيديهم وربما أبصارهم ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تبارك وتعالى. وقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة أن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه.

إذًا قول الله تبارك وتعالى {أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ}بيِّنًا أن هذا يثبت لله تبارك وتعالى هذه الصفة (صفة العلو).

{ أأمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } أي تذهب وتجئ وتضطرب وتتزلزل فلا يمكن العيش والحياة عليها.

أي بعد أن قال {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك :15] إذا بالله تبارك وتعالى يبين عاقبة الذين لايطيعونه، لا يخافونه. فيقول هل تأمنون أن تضطرب الأرض التي كانت لكم ذلولاً ثابتةً مستقرةً مهيئةً للإستقرار والحياة، إذا كل شئ يتزلزل. وإياكم والزلزلة الكبرى {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا (3)} [الزلزلة:1-3].

{أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} الله تبارك وتعالى الذي له العلو، العلي، الأعلى {أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} أي ريحًا فيها حصباء {فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} أي فستعلمون عند معاينة هذا العذاب كيف يكون الإنذار.

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} من الأمم السالفة والقرون الخالية قبل كفار مكة. مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس وقوم فرعون، كذب هؤلاء {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} فكيف كان إنكار الله عليهم ومعاقبته لهم... كان عظيمًا، كان شديدًا، كان أليمًا.

ألم يقل الله {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام:11]

ألم يقل الله {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ} [يونس:13] وكانت هذه القرون الماضية أقوى عدة وعتادًا من كفار مكة كما قال ربنا {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى} [طه:128]

كما قال {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا} [الأنعام:6]

وقال جل وعلا {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} [غافر:21]

إذًا هذه الآيات ترتعد لها الفرائص. هذه الآيات تتقلب وتجل معها القلوب خيفةً فإنها تشتمل على وعيد شديد.

هل تأمنون..؟ هل تأمنون والحال هذا أن تتبدل الأرض غير الأرض. أن يخسف الله عز وجل بأهل المعاصي والذنوب وكلنا ذلك الرجل. ءأمنتم أن يتنزل الله علينا بعذابٍ شديدٍ مؤلمٍ موجعٍ.

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} وانظروا إلى ما ورد في عقوبات أهل الذنوب والمعاصي وهذا مهم في التأمل في سنة النبي ﷺفإن النبي ﷺقد توعد بالخسف ببعض الناس كما قال النبي ﷺوالحديث فى الصحيحين "يغزو جيش الكعبة ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم . قالت : قلت : يا رسول الله ، كيف يخسف بأولهم وآخرهم ، وفيهم أسواقهم ، ومن ليس منهم ؟ . قال : يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم"

الراوي:عائشة المحدث:البخاري - المصدر:صحيح البخاري- الصفحة أو الرقم:2118 خلاصة حكم المحدث:صحيح

وكان وكيع بن الجراح رضي الله عنه من أئمتنا يتأول قول النبي ﷺحين يصبح وحين يمسي "...وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي..."

الراوي: عبدالله بن عمر المحدث:الألباني - المصدر:صحيح أبي داود- الصفحة أو الرقم:5074 خلاصة حكم المحدث:صحيح

أن أغتال من تحتي: أي يخسف بي.

والنبي ﷺتوعد من أخذ شبرًا من الأرض بغير حقه أن يخسف به يوم القيامة إلى سبع أراضين. "من أخذ من الأرض شبرا بغير حقه طوقه من سبع أرضين" .

الراوي: أبو هريرة المحدث:الألباني - المصدر:صحيح الترغيب- الصفحة أو الرقم:1866 خلاصة حكم المحدث:صحيح

وتوعد النبي ﷺواسمعوا عباد الله هذا الحديث الذي رواه الإمام ابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺيقول "يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رءوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير"

الراوي: أبو مالك الأشعري المحدث:المنذري - المصدر:الترغيب والترهيب- الصفحة أو الرقم:255/3 خلاصة حكم المحدث:[إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]

هذا شأن الملهي الليليه الآن، شأن البارات، شأن الفنادق التي تكون فيها هذه السهرات، والقرى السياحيه التي ينتشر فيها ذلك، والحفلات الغنائيه التي يشيع فيها هذه المنكرات. يشربون الخمر ويسمونه بغير اسمه. يسمونه بالشراب الروحي، والشراب الكحولي،

ويسمونه بأسماء. يقولون ويسكي ويقولون كذا وكذا...يسمونه بغير اسمه "خمر". يشربون الآن المخدرات ويسمونها بغير الاسم الشرعي لها "خمر". ويسمعون المعازف: الموسيقى. والقينات: المطربات.

{ أأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ }

وقال النبي ﷺ والحديث عند الترمذي وقال الألباني حسن لغيره أن النبي ﷺ قال "في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قال رجل من المسلمين : يا رسول الله ! متى ذلك ؟ قال : إذا ظهرت القيان والمعازف ، وشربت الخمور"

الراوي: عمران بن حصين المحدث:الألباني - المصدر:صحيح الترغيب- الصفحة أو الرقم:2379 خلاصة حكم المحدث:حسن لغيره.

ومن الأسباب التي يحدث بها الخسف: الكبر، فإن النبي ﷺ كما عند النسائى وصححه الألباني قال "بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة"

الراوي:عبدالله بن عمر و أبو هريرةالمحدث:الألباني - المصدر:صحيح الجامع- الصفحة أو الرقم:2872 خلاصة حكم المحدث:صحيح

وعن جابر رضي الله عنه ولعله له حكم الرفع, والحديث عند البزار وروايته صحيحه وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب أن جابر رضي الله عنه قال: "أن رجلا كان في حلة . . . ، فتبختر واختال فيها ، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة" .

الراوي:جابر بن عبدالله المحدث:الألباني - المصدر:صحيح الترغيب- الصفحة أو الرقم:2915 خلاصة حكم المحدث:صحيح لغيره

والحديث في الصحيحين, حديث أبي هريره أن النبيﷺ قال "بينما رجل يمشي في حلة ، تعجبه نفسه ، مرجل جمته ، إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة"

الراوي: أبو هريرة المحدث:البخاري - المصدر:صحيح البخاري- الصفحة أو الرقم:5789 خلاصة حكم المحدث:صحيح.

مرجل جمته : ممشط شعره.

فاتقوا الله عباد الله من هذه الذنوب لأنها شديده في العقوبة

ثم قال ربنا تبارك وتعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ} وهذا عطف على جملة {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً} [الملك:15] فهذا إسترسال في الدلائل على انفراد الله تبارك وتعالى في التصرف في الموجودات وقد انتقل من دلالة أحوال البشر وعالمهم إلى دلالة أعجب أحوال العجماوات. أحوال الطير في نظام حركاتها في حال طيرانها. فهي لا تمشي على الأرض ولكن ربنا تبارك وتعالى اختصها بأن تطير في الهواء، أفلم تكن هذه آية من الآيات! أفلم يروا هذه

المخلوقات حال كونها {صَافَّاتٍ} أي تصف أجنحتها فى الهواء، {وَيَقْبِضْنَ} أي تقبض جناحها وتارة تنشر جناحها.

ألم تروا هذه الآية البينة {صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ} ما يمسكهن في الجو إلا الرحمن بما سخر لهن من الهواء برحمته ولطفه. الله تبارك وتعالى يقول {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [النحل:79]

فهذه آية. فإمساك الله هذه المخلوقات وحفظها من السقوط على الأرض بما استودع في خلقها من خفة وقوة. خفة في العظام, وقوة حركة في الجوانح.

فكما ذلل الأرض للآدمي ذلل الهواء للطيور. فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها دلته على قدرة باريها وهذا من دلائل القدرة الباهرة.

{إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ} بصير بما يصلح، يدبر لعباده مايليق بهم.

البصير الذي يبصر كل شئ وإن دقّ وصغر. يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. ويبصر ما تحت الأراضين السبع كما يبصر ما فوق السموات السبع. وهو البصير يرى دبيب النملة، يرى دبيب النملة السوداء تحت الصخر والصَّوان، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى عروق بياضها بعيان، ويرى خيانات العيون بلحظها, ويرى كذلك تقلب الأجفان {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر:19].

فالله تبارك وتعالى يقول للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرًا ورزقا، يقول بهذه الدلائل

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد فواعجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحد الجاحد

لأن ذلك ناطق به كل خلق الله تبارك وتعالى. الله جل وعلا دلل من خلال هذه الآيات على قدرته سبحانه وتعالى.

وهذه الآيات اشتملت على فوائد:

أولا: إثبات العلو وقد بيناه.

ثانيًا: التذكير بنعمة الله بجعل الأرض مستقرة. وكل من عاش وقتًا كان فيه زلزالاً في الأرض يعرف عظم آية الإستقرار في الأرض.

ثالثًا: أن الله حذر المعرضين عنه من سوء العاقبة طالما استمروا على هذا الإعراض.
رابعًا: بيّن سبحانه وتعالى العبر والعظات في الهالكين الأولين وقد أهلك الله تبارك وتعالى كثيرًا منهم بسبب ذنوبهم { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم:98].
خامسًا: بينت الآيات التي في الآفاق قدرة الله، وبينت ما في خلقه سبحانه وتعالى ولاسيما في خلق الطير من آية باهرة لكل ذي عينين، وأرشدتنا إلى أهمية التفكر والتدبر، وأن نخرج من

هذا ونحن على يقين بقدرة ربنا العليم، وأن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يبصر جميع الأشياء وإن دقت وإن خفيت. وهذا فيه وعيد، وفيه إرشاد بمراقبة الله تعالى، وهو سبحانه بكل شئ بصير.

المعاني الإيمانية والفوائد الإيمانية في هذا المقطع من هذه السورة العظيمة الجليلة:

أولاً: الحذر كل الحذر من أسباب الخسف وقد بينا بعضها كالكبر، وكسماع الأغانى، والجلوس في مجالس الملاهي التي يضرب فيها الخمر. وكذلك من الأسباب أيضًا التي يتنزل بها هذا العذاب أن الإنسان يقتطع شبرًا بغير حقه ويستولي على أراضي الناس. ونستدغع ذلك بالدعاء ليل نهار بأن يعيذنا الله جل وعلا بعظمته من هذا الخسف.

فلا تنسوا هذا الدعاء العظيم الجليل "اللهم أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة, اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي, اللهم استر عوراتي, وآمن روعاتي,اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" نسأل الله عز وجل ذلك.

ثانيًا: الاعتبار {فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} الاعتبار بمن هلك فيمن هلك قبلنا.

ثالثًا: ضرورة التفكر في خلق الله عزوجل، فهذا سبيل العلم "التفكر"

{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)} [العلق:1-4] هذا فيه إشارة للتفكر.فيه إشارة إلى التدبر، وعليهما يكون العلم النافع.

رابعًا: ضرورة مراقبة الله تبارك وتعالى إذ يبصرنا وكفى بذلك من وعيد.

> لكل من يتجرأ على فعل المعاصي. ربنا يراك, ربنا مطلع عليك, إن الله ناظر إليك, إن الله مطلع عليك، بصير بكل شئ فيك، فاتق الله عبد الله.

ثم قال ربنا تبارك وتعالى {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ(20) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (21)أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (22) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (23) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(24) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ(26)} [الملك:20-26]

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ} أي من هذا الذي يستطيع أن يدفع عنكم عذاب الله من الأنصار والأعوان. من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن. أو ليس ربنا تبارك وتعالى ينصر من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ولو اجتمع الخلق على نصر

عبد لم ينفعوه بمثقال ذرة، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشئ لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ} أي ما الكافرون إلا في غرور في إعتقادهم أن آلهتهم تنفع أو تضر، وهذا جهل عظيم وضلال مبين يفعل بهم ذلك الشياطين { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً } [النساء:120]
فهذا من فعل الشيطان بهم إذ زين لهم عبادة غير الله وهي لا تملك نصر أنفسها {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ(191) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ(192)} [الأعراف:191-192] كما قال سبحانه {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} [الأعراف:197]

{إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ} فهذا من الأوهام التي يوقعهم فيها الشيطان.

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم من بعده! لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله وحده، وهو سبحانه وتعالى الرّزاق ذو القوة المتين والرزق كله من الله لأنه ربنا المتكفل بأرزاقنا، فلو أمسك عنا الرزق فمن الذي يرسله لنا؟!

كل الخلق لايقدرون على رزق أنفسهم فكيف يستطيعون أن يرزقوا غيرهم.

الله تبارك وتعالى يقول { إِنّ الّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت:17] والله سبحانه وتعالى يقول {وَمَا مِنْ دَابّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلّا عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا} [هود:6] يقول {اللّهَ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ }[الزمر:52]
{اللّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيّ الْعَزِيزُ} [الشورى:19]

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} فلا أحد يستطيع ذلك.

{بَل لَّجُّوا} أي الكافرون استمروا في طغيانهم. لجّوا: استمروا في الطغيان.

{فِي عُتُوّ وَنُفُورٍ } في مكابرة ومعاندة ونفور فلا يسمعون لأحد ولا يتبعون غير أهوائهم، فهم في شرود وبعد عن الصراط المستقيم، عن الحق بقلوبهم وأبدانهم فلا يستمعون للحق ولا يفقهونه ولا يتبعونه {وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا} [الإسراء:46]
العتو كما يقول ابن عاشور هو التكبر والطغيان.
والنفور هو الإشمئزاز من الشئ والهروب منه.{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا } [الفرقان:60]

وكما صنع قوح نوح عليه السلام به حينما قال {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلّا فِرَارًا (6) وَإِنّي كُلّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7)} [نوح:5-7]

{أفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى} هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر, الكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي منكبًا أي منحنيًا على وجهه لا مستويًا على وجهه أي لايدري أين يذهب ولا كيف يذهب. هذا المنكب على وجهه صفته صفة التائه الحائر الضال. اهذا الذي يمشي هكذا أفضل وأقوم ممن يمشي منتصب القامة ؟ فهو يمشي في طريقه محددًا هدفه يعرف أين السبيل، أين الطريق. {أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} على طريق واضح بيّن وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيم. هذا مثلهم في الدنيا وهكذا يكونون في الآخرة. فالمؤمن يحشر يمشي سويًا على صراط مستقيم يفضي به إلى جنة النعيم، أما الكافر فإنه يحشر يمشي على وجهه إلى نار جهنم.

أيها الناس عندما تستمعوا لهذه الآيه تذكروا هذا المعنى ولا تنسوه:

- ❖ إذهب إلى الله ماشيًا أفضل من أن تذهب له زاحف.
- ❖ إذهب إلى الله وأنت قادر أفضل ما أن تذهب إليه وأنت عاجز.
- ❖ إذهب إلى الله سبحانه وتعالى وهذا آخر سبيل والله الآخر فليس بعده شيء.

روح لربنا وتذكر {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات:99]

علماء الإدارة حينما يقولون في أول الأمر لا بد من تهديف الحياة، يقولون لابد من هدف واضح. هذا هو (سويًا على صراط مستقيم)، واضح، محدد، يعرف الإنسان وجهته بكل واقعية ويحاسب نفسه على هدفه القابل للقياس، أما الذي يمشي متلفتًا فهذا ليس في شعار أهل الإيمان {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} [الحجر: 65].
الكافر يمشي لا على هدى يتخبّط في ظلمات الكفر والجهل والشك، فهو مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها. أما المؤمن فيمشي مستوي القامة على ما فطره الله تبارك وتعالى، يمشي على طريق معتدل يهتدي بالنور من قِبل الله تبارك وتعالى الذي على صراط مستقيم {إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [هود:56].
{أفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ} منكسًا رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، لا يأمن من أن يتعثّر وينكب على وجهه فيأتي ربه زحفا،كمن يمشي سويًا معتدلاً ناظرًا ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ الله} [غافر:58].

جل وعلا ضرب هذه الأمثال كما قال {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام:122] وقال سبحانه وتعالى {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ(22)} [فاطر:19-22]

ثم قال سبحانه وتعالى {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ} ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورا، ابتدأ خلقكم من غير معاون له.

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ} أنعم عليكم بهذه النعم وهو سائلكم عنها {إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:36]. وجعل لكم السمع حتى تسمعوا آيات الله وتمتثلوا ما فيها.

ولاحظوا هذا مع قولهم {وَقَالُوا لَوْ كُنّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنّا فِي أَصْحَابِ السّعِيرِ} [الملك:10] هنا يمتن علينا ربنا تبارك وتعالى ويبين لنا أن طريق الهداية بعد أن قال {أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} قال {قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ} وكأن في ذلك بيان أن طريق الهداية يبدأ بأن تسمع سماعًا صحيحًا وتتعظ بالآيات التي يرسلها الله لك، سواء آيات كونية أو الآيات الشرعية، الآيات التي في كتاب ربنا تبارك وتعالى وسنة نبينا حتى يتعظ بها الإنسان. {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ} حتى تنظروا في ملكوت السماوات والأرض وتتفكروا {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ}

{وَالأَفْئِدَةَ} القلوب لتتفكروا بها فيما تسمعونه وفيما تشاهدونه من الآيات في الكون وفي التنزيل فترتقوا في معارج الإيمان والطاعة. فذكَر الله تبارك وتعالى طريق الفهم ومكان الفهم.

طريق الفهم السمع والبصر، ومحل الفهم هو القلب.

لكن لماذا لم يذكر الله سبحانه بقية الحواس كاللمس والذوق؟ قالوا لأن الإتعاظ بالآيات يكون بالسمع والبصر. وبدأ بالسمع لأنه أشمل وأعم لأنك تسمع مالا تراه، وخصّ هذه الجوارح بالذكر لأنها أداة العلم والفهم، وهي أفضل أعضاء البدن. ولكن الإنسان مع هذا الإنعام قليلاً ما يشكر {قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} وفي ذلك حث على الشكر وذم لمن لايشكر نعم الله تبارك وتعالى.
والشكر أن يقوم الإنسان بطاعة ربه المنان إعترافًا منه بالجنان (بالقلب)، وثناءً باللسان، وطاعة بالأركان. فإذا اعترف الإنسان بنعمة ربه باطنًا وأثنى عليه ظاهرًا وصرف النعمة فيما يحب ربه ويرضاه فهذا هو الشكران.

كيف يتحقق للإنسان ذلك؟

أولاً: أن يسأل الله ذلك كما سأله نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيّ} [النمل:19] وكما قال النبي ﷺ " أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك "
الراوي: معاذ بن جبل المحدث:النووي - المصدر:الأذكار- الصفحة أو الرقم:103 خلاصة حكم المحدث:إسناده صحيح

ثانيًا: أن يعلم الإنسان أن النعم إذا شُكرت تستقر وتزداد، والله تبارك وتعالى يقول {وَإِذْ تَأَذّنَ رَبّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنّكُمْ} [إبراهيم:7] فالشكر أساس المزيد.

ثالثًا: أن يعلم الإنسان أن الله سائله يوم القيامة عن شكر هذه النعم {ثُمّ لَتُسْأَلُنّ يَوْمَئِذٍ عَنِ

{النَّعِيمِ} [التكاثر:8] فستسئلون عن الصحة والرزق والأمن ونحو ذلك. فعليك أن تشكر ربك حتى لا يكون الوعيد يوم القيامة حتى لا تكون العقوبة في المآل والمصير.

رابعًا: أن ينظر الإنسان إلى من هو دونه في أمر الدنيا، لأن ذلك يساعده أن يعظّم نعمة الله، والعكس بالعكس كما قال النبي ﷺ "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم"

الراوي: أبو هريرة المحدث:الترمذي - المصدر:سنن الترمذي- الصفحة أو الرقم:2513 خلاصة حكم المحدث:صحيح

تزدروا : أي تحتقروا

فالشكر يكون من الله للعبد ومن العبد لربه. فعلى العبد أن يشكر ربه قال سبحانه {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} [لقمان:12] وقال سبحانه {كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} [الأعراف:58].

وسمي الله عز وجل الشكور فهو يشكر لعبده كما قال {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة:158] فيثيب الإنسان بالثواب الجزيل مع عمله القليل. هذا شأن ربنا الشكور سبحانه وتعالى {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر:34]

فاشكروا نعمة الله عز وجل فالله أمر بذلك {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر:66].

ووبخ على عدم الشكر {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس:73].

وأثنى على الشاكرين {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء:3].

وشكر ربنا تبارك وتعالى وبين أن من يشكر فإنه ينتفع بذلك {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [لقمان:12].

والشكر إذا صدر من المؤمنين فإنه يمنع عنهم نزول العذاب المهين {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ} [النساء:147].

والشكر سبب لزيادة النعم {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم:7].

وصفوة عباد الله هم الذين اختصهم بالشكر لأن الله تبارك وتعالى يقول {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [غافر:61] ويقول {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ:13] وهم خواص الله وصفوة عباد الله.

{قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ} أي بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها. معنى كلمة ذرأ معناها: بث ونشر، والذرء هو الإكثار من الموجود. فهذا أخص من قوله {أَنْشَأَكُمْ}. هذا المعنى كثركم على الأرض، نشركم في الأرض، هو الذي سبحانه وتعالى {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود:61] أي أعمركم إياها وهو الذي بثكم ونشركم في أقطار الأرض وأرجائها.

{قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} أي إليه وحده مرجعكم للحساب {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (50)} [الواقعة:49-50] وعنده تجتمعون بعد هذا التفرق، بعد أن ذرأكم يجمعكم كما فرقكم.

في هذا أن الإنسان أوجده الله ليعمر الأرض، كما قلنا إيمان وعمران.كما قلنا إيمان بالله تبارك وتعالى ثم عمران في الأرض {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [الملك:15]

وهنا عدة فوائد:

فعلى الإنسان أن يعمر الأرض عمرانًا يتقوى به على طاعة الله، وعليه أن يحذر من أن يعمر الأرض عمران من سيخلد فيها، فلا ينشغل بها عن طاعة الله وأن يكون عمرانه للارض على قدر وجوده، ويعرف أن الأرض ليست دار قرار بل هي دار عبور وممر.

والآيات فيها إثبات للحشر {وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} والحشر معناه الجمع, والمراد جمع الخلائق يوم القيامة للحساب والقضاء.

عندنا في القرءان ءايات كثيرة تثبت الحشر كما قال ربنا تبارك وتعالى {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير:5] وكما قال سبحانه وتعالى {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام:38]

وفي السنة قول النبي ﷺ "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء ، كقرصة نقي . قال سهل أو غيره : ليس فيها معلم لأحد"

الراوي: أبو هريرة المحدث:البخاري - المصدر:صحيح البخاري- الصفحة أو الرقم:6521 خلاصة حكم المحدث:صحيح

ويحشر كل شئ حتى البهائم {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير:5] . "رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان ، فقال : يا أبا ذر ! أتدري فيما تنتطحان ؟ . قلت : لا ، قال : ولكن ربك يدري ، وسيقضي بينهما يوم القيامة"

الراوي: أبو ذر الغفاري المحدث:الألباني - المصدر:السلسلة الصحيحة- الصفحة أو الرقم:117/4 خلاصة حكم المحدث:إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أصحاب المنذر فإنهم لم يسموا.

في ذلك أن الله سبحانه وتعالى سيقتص لهذه من تلك وهذا دليل على الحشر يوم القيامة، وهناك آثار كثيرة على هذا. ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً كما بين النبي ﷺ في الصحيحين "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا . قلت : يا رسول الله ! النساء والرجال جميعا ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة ! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"

الراوي: عائشةالمحدث:مسلم - المصدر:صحيح مسلم- الصفحة أو الرقم:2859 خلاصة حكم المحدث:صحيح

ومعنى حفاة: أي ليس لهم نعال.

عراة: ليس عليهم ثياب.

غرلاً:أي ليسوا مختونين.

وأول من يُكسي إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأرض المحشر أرض الشام كما بين النبي العدنان.

إذًا هذه الآية نينت وأثبتت أن العباد يحشرون إلى ربهم تبارك وتعالى.واشتملت هذه الآية في هذا المقطع على كثير من المعاني الإيمانية المهمة فلو تأملناها بقلوبنا وجدنا فيها رسائل عظيمة الشأن:

الأمر الأول: أن نعلم أن الله هو الناصر النصير سبحانه وتعالى فإذا استنصرت فاطلب النصر من الله تبارك وتعالى, وأسباب النصر معلومة في القرءان. وأسباب النصر {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد:7] وهذا مستفاد من قول الله تبارك وتعالى {أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ} [الملك:20] فالله سبحانه وتعالى ينصرنا. وأسباب النصر في القرءان مرتبطة بالإيمان، مرتبطة بتحقيق العبد لما يحبه الله تبارك وتعالى فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [آل عمران:123] أي حال كونكم فقراء مساكين، وهذا من أعظم أسباب النصر وهو المسكنة لله تعالى والذل والإنكسار له سبحانه وتعالى.

ومن ذلك الصبر والإحتساب {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنّةَ وَلَمّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضّرّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلَا إِنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} [البقرة:214]

ومن ذلك دعاء الله تعالى بذلك {وَلَمّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلّمَهُ مِمّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)} [البقرة:250-251]

ومن ذلك دعاء المؤمنين {وَاعْفُ عَنّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة:286].

والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء، والله سبحانه وتعالى بيّن أنه يرعى عباده الذين يقومون له بالحق والواجب الذي أمرهم به {وَلِتَطْمَئِنّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النّصْرُ إِلّا مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران:126] فمن أسباب النصر التذلل لله كما تقدّم.

وكذلك من أسباب النصر الحكمة، لأن التهور يؤدي إلى كثير من الإنحراف عن الجادة.

فعلينا أن نأخذ بهذه الأسباب، وأن نعلم أن الله سبحانه وتعالى غالب لا يغلب {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران:160] **وهذا من أعظم أسباب النصر كذلك أن نتوكل على الله عز وجل، فهذا أول شئ من الدروس الإيمانية الإستنصار بالله تبارك وتعالى.**

الأمر الثاني: الأخذ بالأسباب للرزق الحلال كالإستغفار والتقوى والتوكل، قال ربنا تبارك وتعالى {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)} [نوح:10-13]

وقال سبحانه وتعالى {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ..(3)} [الطلاق:2-3]

الأمر الثالث: قال النبي ﷺ "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ؛ لرزقكم كما يرزق الطير : تغدوا خماصا وتروح بطانا" .

الراوي: عمر بن الخطاب المحدث:الألباني - المصدر:تخريج مشكاة المصابيح- الصفحة أو الرقم:5229
خلاصة حكم المحدث:صحيح

ومن الأمور كذلك التي بها الرزق التلطف والتذلل لله تبارك وتعالى والتضاعف له، بمعنى أن الإنسان يظهر ضعفه له {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى:19] **فحق القوي أن يكون العبد ضعيفًا متضاعفًا مظهرًا فقره، وحق العزيز أن يكون متذللاً لله تبارك وتعالى.**

فإذًا يأخذ العبد بأسباب النصر ويأخذ العبد بأسباب الرزق ويعرف العبد وجهته.

الأمر الثالث: يعرف وجهته فيهتدي بمن سار قبله ويقتدي بمن سار على هذا الصراط المستقيم، ويكون الإنسان عنده هدف إيماني ومشروع إيماني. مثل الناس التي تضع مشروع أن تدرك تكبيرة الإحرام أربعين يومًا حتى ينال البرائتين، وكشأن المرأة المسلمة التى تضع الأربع أمور التي هي موجبة للجنة لها نصب عينها لاتفارقها، إذا صلت خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها. فهذه مشاريع إيمانية نهتدي بها، وهذا في معنى سويًا على صراطٍ مستقيم.

ومن المعاني الإيمانية أن نعرف أن أول سبيل الإيمان والهدى والرشاد بالسماع الصحيح كما بيناه من قبل، وبأن يتفكر الإنسان. فعليه أن يحسن ويصغي لما فيه نفعه ويتفكر ويتأمل فهذا من أعظم الأسباب للهداية ثم على الإنسان ألا يفارق ذهنه التفكر فيما خلق الله عز وجل وما بث في الأرض، وأن يعلم أن المرد إلى الله عز وجل وأن الحشر إليه {قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

اللهم صلي وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

